التوحيد كما أتى به القرءان

تمهيد :

بيان ما دعا إليه القرءان

أرسل الله سيدنا مُحَمَّدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأنزل عليه القرءان الكريم معجزة له ومصدر الدين الذى يدعو إليه.

وقد اشتملت دعوته على أمرين : أحدهما : العقيدة (التوحيد)

وثانيهما : التكاليف الشرعية

العقيدة : هى ما دعا الرسول إلى اعتقاده والإيمان به، وهو ما تلعق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وهى دعوة جميع الأنبياء قبله . قال تعالى : ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ (سورة الشورى :١٣)، لكن البرهان على العقائد و وجوب الإيمان بها في الأديان السابقة هو ذكرها في الكتاب المقدس أو أخبار الرسل .

وأمتازت دعوة القرءان للعقيدة بمطالبة العقول في آيات الله الكونية احتراما للعقول وتنبيها لها .

أما **التكاليف الشرعية** : (فروع الدين) : وهي النظم التي شرعها الله لعباده ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه ، وعلاقته باخيه الإنسان واخيه المسلم وعلاقته بالحياة فهي مختلفة باختلاف الأمم وأحوالها وأزمانها ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ المائدة : ٤٨، لكنها في شريعة سيدنا مُحَمَّد عمت جميع المكلفين من الانس والجن من مبدعا بعثته الى قيام الساعة .

منهج القرءان في دعوته إلى التوحيد

جاء القرءان الكريم بالتوحيد خالصا من كل شبهة بعيدا عن كل شائبة ، وأقام على كل دعوة دليلها ، وحكى مذهب المخالفين من الشركين وأهل الكتاب ، وأقام البرهان على بطلان مذاهبهم .

وخاطب العقل واستنهض الفكر وأيقظ الفطرة التي فطر الله الناس عليها من الشعور بخالق الكون ، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإتقان والأحكام على أنظار العقول وطالبها بالنظر فيها لتصل بذلك إلى اليقين والإيمان، وأخى بين العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبى مرسل ، وعرف أن من قضايا الدين ما طريق اعتقاده العقل كالعلم بوجود الله وقدرته وعلمه وأن الدين لو أتي بشيء يعلو على الفهم فلا يمكن أن يكون مستحيلا عند العقل . هذا هو مسلك القرءان في دعوته للعقائد.

التوحيد كما أتى به القرءان الكريم

دعانا القرءان الكريم إلى معرفة الله . بأنه موجود قديم باقي لا يشبه المخلوقات غني عما سواه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله مستحق للعبادة منزه عن الشريك والولد وكل نقص، متصف بصفات الجلال والكمال، وخالق الكون قادر، مريد عالم حي سميع بصير متكلم.

واستند في دعواه إلى ما فطر عليه الإنسان من الشعور الباطن بأن للعالم ربا خالقا وما نصبه الله الأدلة الكونية.

فقال الله تعالى : ﴿قل انتظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ يونس :١٠١ ،

﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ البقرة: ١٦٤،

فالله خالق العالم مؤجود قديم باقى ﴿هو الأول والاخر﴾ الحديد : ٣.

لايشبه خلقه ﴿ليس كمثله شيء﴾ الشورى:١١

واحد لا شريك له ﴿قل هو الله أحد﴾ الإخلاص: ١

وبرهان على وحدانيته ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ الأنبياء : ٢٢ ،

أما المكلفين بعبادته وحده ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ النساء : ٣٦

رويخ المشركين و نهى عليهم جريمة شركهم ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون (١٩١) ولا يستطيعون لهم نصرا

ولا أنفسهم ينصرون (١٩٢)﴾ الأعراف: ١٩١-١٩٢

﴿أتعبدون ما تنحتون (٩٥) والله خلقكم وما تعملون (٩٦)﴾ الصافات : ٩٥-٩٦،

ولما قالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله رد عليهم بقوله ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه

من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ المؤمنون:٩١،

﴿بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ الأنعام: ١٠١، الآيات الخ ﴿لا تدركه

الأبصار﴾[1]

[1] بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)

ودعاهم إلى التوحيد فقال : ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا تعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا﴾

آل عمران : ٦٤.

وقد سمى نفسه بأسماء ووصف ذاته بصفات ليس للبشر أن يدعوه بغير أسمائه أو يصفوه بغير صفاته ﴿هو

الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم الحشر: ٢٢ ، الآيات الخ

وبين القرءان إرسال الرسل وتاييدهم بالمعجزات وقص علينا ما يجب معرفته منهم فقال تعالى : ﴿يا أيها

النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ الأحزاب: ٤٥-٤٦

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ النساء: ١٦٣

﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ النساء:١٦٥.

وأوجب علينا الإيمان بهم جميعا قال تعالى ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه

ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ البقره: ٣٨٥.

وكان الرسل صادقين في دعواهم ، وقد بلغنا الرسولﷺ ما أوحى به إليه فأمنا به.

وأخبرنا عن غيبيات لا نعرف إلا عن طريق الوحى كالملائكة جند الله عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

عالم الجن وهم مكلفون كالإنس منهم المؤمنين ومنهم الكافرون . يرون الإنسان لا يراهم الناس.

وعن الأجل المحدود والموت وما بعده من ثواب و عقاب ونعيم وعذاب تنفيذا لوعد الله للمؤمنين ووعيده للعصاة والكافرين .

وعن أمر انتهاء العالم بالنفخ الأولى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ الزمر : ٦٨

وعن البعث ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ الزمر : ٦٨

وعن اليوم الآخر وما فيه من أهوال حساب وصحائف أعمال، ووزن و ميزان وصراط وجنة هي دار المؤمنين ، ونار هي مأوى للكفار خالدين فيها أبدا .

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ الانشقاق : ٧-٨ ،

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾ الانشقاق : ١٠-١٢

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ الأنبياء:٤٧

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ المومنون : ١٠٢-١٠٣

وأقام الأدلة على البعث في كثير من آياته ومنها قال ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ الآيات الخ (يس)[٢].

- وكانت المعجزة طريق الإيمان بالرسل وما أتوا به من الغيبيات

- وبالجملة فقد جاء القرءان بأمهات العقائد الدينية التي يجب على كل مسلم اعتقادها ويكفر جاحدها

- نبين بالدليل كما سبق أتصاف الله بكل كمال تنزهه عن كل نقص

- وأنه بعث الرسل لإرشاد الناس إلى ما يصلح حالهم في معاشهم ومعادهم

- وبلغنا الرسول ﷺ كل ما يتعلق بأصول الدين من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر

- فأخذ السلف عن الكتاب العزيز وعن الرسول ﷺ هذه العقائد وفهموا إشارات القرءان ونصوصه معتقدين تنزيه الله عما لا يليق به مفوضين فيما أوهم التشبيه مثل قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ قائلين وما

[٢] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

يعلم تأويله إلا الله ، آمنا به كل من عند ربنا ولم تتشوق نفوسهم إلى التوسع في البحث فيها ولا إلى التفصيل

وعملوا بما اعتقدوه مخلصين له الدين حنفاء.

مضى الأمر على هذا إلى أن حدثت فتنة سيدنا عثمان وكان قد دخل في الإسلام من أهل الديانات الأخرى

من أراد الكيد له أمثال عبد الله بن سبأ وانتشرت الشبهات بين المسلمين وتصدى للرد عليها علماؤهم ثم نشأت

الفرق الإسلامية وبدأ تدوين علم الكلام.

نَشْأَةُ عِلْمِ الكَلاَمِ

كَثُرَ البَحْث فِي العَقَائِدِ فِي العَصْرِ العَبَاسِي وَاتَّخَذَ أَلْوَانًا لَمْ تَكُنْ أَيَّامُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ الأَوَّلِيْنَ مِنْ صَحَابَتِهِ. وَأَخَذَتْ البُحُوْثُ تَتَرَكَّزُ لِيَتَكَوَّنُ مِنْهَا عِلْمٌ جَدِيْدٌ يُسَمَّى عِلْمُ الْكَلاَمِ.

وَلِنَشْأَتِهِ أَسْبَابٌ دَاخِلِيَّةٌ وَأُخْرَى خَارِجِيَّةٌ :

أَمَّا **الأَسْبَابُ الدَّاخِلِيَّةُ** فَهِيَ:

١- تَعَرَّضَ القُرْآنُ بِجَانِبِ دَعْوَتِهِ إِلَى التَّوْحِيْدِ لِأَهَمِّ الفِرَقِ وَالدِّيَانَاتِ الَّتِي كَانَتْ مُنْتَشِرَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ نَقْضَ أَقْوَالِهِمْ فَكَانَ طَبِيْعِيًّا أَنْ يَسْلُكَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِيْنَ مَسْلَكَ القُرْآنِ الْكَرِيْمِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُخَالِفِيْنَ وَكُلَّمَا جَدَّدَ الْمُخَالِفُوْنَ وُجُوْهَ الطَّعْنِ جَدَّدَ الْمُسْلِمُوْنَ طُرُقَ الرَّدِّ.

٢- كَادَ يَنْتَهِي العَصْرُ الأُمَوِيُّ فِي إِيْمَانٍ خَالِصٍ مِنَ الْجَدَلِ وَلَمَّا فَرَغَ الْمُسْلِمُوْنَ مِنَ الْفَتْحِ وَاسْتَقَرُّوْا، وَأَخَذُوْا يَنْظُرُوْنَ وَيَبْحَثُوْنَ فَاسْتَتْبَعُ هَذَا اخْتِلاَفُ وَجْهَةَ نَظَرِهِمْ فِي اخْتِلاَفِ الآرَاءِ وَالْمَذَاهِبِ.

٣- اَلْخِلاَفُ فِي الْمَسَائِلِ السِّيَاسِيَّةِ كَانَ سَبَبًا فِي الْخِلاَفِ الدِّيْنِيِّ وَأَصْبَحَتْ الأَحْزَابُ السِّيَاسِيَّةِ فِرَقًا دِيْنِيَّة لَهَا رَأْيُهَا

فَحِزْبُ الإِمَامِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ تَكُوْنَ مِنْهُ الشِّيْعَةِ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِالتَّحْكِيْمِ مِنْ جُنْدِهِ تَكُوْنُ مِنْهُ الْخَوَارِجُ، وَمَنْ كَرَهَ الْخِلاَفَ الْمُسْلِمِيْنَ كَانَ أَسَاسَ مَذْهَبِ الْمَرْجِئَةِ.

أَمَّا **الأَسْبَابُ الْخَارِجِيَّةُ** فَهِيَ:

١- كَثِيْرُ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الإِسْلاَمِ بَعْدَ الفَتْحِ كَانُوْا مِنْ دِيَانَاتِ مُخْتَلِفَةِ يَهُوْدِيَّةِ وَنَصْرَانِيَّةِ وَدَهْرِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَقَدْ أَظْهَرُوْا آرَاءَ دِيَانَاتِهِمْ الْقَدِيْمَةِ فِي لِبَاسِ دِيْنِهِمْ الْجَدِيْدَةِ.

٢- جَعَلَتْ الفِرَقُ الإِسْلاَمِيَّةُ الأُوْلَى وَخَاصَّةً الْمُعْتَزِلَةُ هَمُّهَا الأُوْلَى الدِّفَاعُ عَنْ الدِّيْنِ وَالرَّدِّ عَلَى الْمُخَالِفِيْنَ وَكَانَتْ البِلاَدُ الإِسْلاَمِيَّةِ مَعْرَضًا لِكُلِّ هَذِهِ الآرَاءِ يُحَاوِلُ كُلُّ فَرِيْقٍ تَصْحِيْحَ رَأْيِهُ وَأَبْطَالَ رَأْيِ غَيْرِهِ.

وَقَدْ تَسَلَّحَتْ اليَهُوْدِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ بِالْفَلْسَفَةِ فَدَرَسَهَا الْمُعْتَزِلَةُ لِيَسْتَطِيْعُوْا الدِّفَاعَ بِسِلاَحِ يُمَاثِلُ سِلاَحَ مَنْ يُهَاجِمُهُمْ.

٣- حَاجَةُ الْمُتَكَلِّمِيْنَ إِلَى الْفَلْسَفَةِ وَالْمَنْطِقِ اِضْطَرَّتْهُمُ إِلَى دِرَاسَتِهَا وَالرَّدِّ عَلَى مَا فِيْهَا مِنْ شُبْهِ.

نَشْأَةُ الْفِرَقِ الاِسْلاَمِيَّةِ

كَانَتْ الْخِلاَفَةُ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي اشْتَدَّ نِزَاعُ الْمُسْلِمِيْنَ فِيْهَا وَكَانَ مِنْ أَثَرِ هَذَا النِّزَاعِ تَكْوِيْنُ فِرَقٍ مِنْ أَكْبَرِ الفِرَقِ الاِسْلاَمِيَّةِ

١- الشِّيْعَةُ: وَهُمْ الَّذِيْنَ يَرَوْنَ أَنَّ الأَحَقَّ بِالْخِلاَفَةِ بَعْدَ رَسُوْلِ اللهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

٢- اَلْخَوَارِجُ: هُمُ الَّذِيْنَ لَمْ يَرْضَوْا التَّحْكِيْمَ وَخَرَجُوْا عَلَى الإِمَامِ عَلِيّ.

٣- اَلْمَرْجِئَةُ : هُمْ الَّذِيْنَ كَرِهُوْا الْخِلاَفَ وَابْتَعَدُوْا عَنْ الفَرِيْقَيْنِ.

وَلَمَّا انْتَهَى الْمُسْلِمُوْنَ مِنَ الفَتْحِ وَدَخَلَ فِي الاِسْلاَمِ كَثِيْرٌ مِنْ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى أَخَذَتْ تَظْهَرُ أَفْكَارٌ جَدِيْدَةٌ صَبَغَتْ مِنَ الدِّيَانَاتِ الْقَدِيْمَةِ فِي ثَوْبِ دِيْنِهِمْ الْجَدِيْدِ.

وَكَانَ العِرَاقُ وَخُصُوْصًا البَصْرَةُ مَوْطِنًا لِجَمِيْعِ الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ.فَظَهَرَ الْخِلاَفُ فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ حِيْنَ قَامَتْ جَمَاعَةُ يَقُوْلُوْنَ بِسَلْبِ إِرَادَةِ الاِنْسَانِ عَلَى رَأْسِهِمْ جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ الَّذِي تَكُوْنُ مِنْهُ، وَمِنْ اَتْبَاعِهِ فِرْقَةُ الْجَبَرِيَّةُ وَيَتَزَعَّمُهُمْ مَعْبَد الْجُهْنِي، فَنَشَأَتْ طَائِفَةٌ وَسْطَ هَذَا الاِضْطِرَابِ الفِكْرِي وَالْمَبَادِئِ الَّتِي كَوَّنَتْهَا كُلُّ فِرْقَةٍ لِنَفْسِهَا

وَقَامَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُخْلِصِيْنَ يَشْرَحُوْنَ عَقَائِدَ الْمُسْلِمِيْنَ عَلَى طَرِيْقَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ وَمِنْ أَشْهُرِهِمْ الْحَسَنُ البَصْرِيُّ وَكَانَ مِنْ اخْتِلاَفِهِ مَعَ تِلْمِيْذِهِ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ فِي حُكْمِ مُرْتَكِبِ الْكَبِيْرَةِ الَّذِي مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ تَكُوْنُ فِرْقَةُ الْمُعْتَزِلَةِ الَّتِي كَانَ لَهَا الفَضْلُ الأَوَّلُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْعَقِيْدَةِ كُلَّ هَذَا فِي أَوَائِلِ القَرْنِ الثَّانِي الْهِجْرِيّ، وَلاَ تَنْسَ مَا نَشَأَ مِنْ فِرْقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ بِسَبَبِ الْمُعْتَزِلَةِ.

وَفِي أَوَاخِرِ القَرْنِ الثَّالِثِ وَأَوَائِلِ القَرْنِ الرَّابِعِ ظَهَرَ الإِمَامُ أَبُوْ مَنْصُوْرِ الْمَاتُرِيْدِي وَاشْتَغَلَ بِالرَّدِّ عَلَى أَصْحَابِ العَقَائِدِ البَاطِلَةِ وَتَكُوْنُ مِنْهُ وَمِنْ أَتْبَاعِهِ فِرْقَةُ الْمَاتُرِيْدِيَّةُ، كَمَا ظَهَرَ الإِمَامُ أَبُوْ الْحَسَنِ الأَشْعَرِي وَاَعْلَنَ انْفِصَالَهُ عَنِ الْمُعْتَزِلَةِ وَبَيْنَ مَبَادِئِهِ الْجَدِيْدَةِ الَّتِي وَافَقَ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِيْنَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِيْنَ وَظَهَرَتْ بِهَا فِرْقَةُ الأَشَاعِرَةِ.

وَمِنْ هَاتَيْنِ الفِرْقَتَيْنِ تَكَوَّنَتْ جَمَاعَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ.لِهَذَا نَرَى أَنَّ نَشْأَةَ الْفِرَقِ تَرْجِعُ إِلَى أَمْرَيْنِ :

الأَوَّلُ : الْخِلاَفَةُ عَلَى الإِمَامَةِ. الثَّانِيُّ : الْخِلاَفُ فِي الأُصُوْلِ.

اَلْمُعْتَزِلَةُ

أَسَاسُ نَشْأَتِهِمْ اخْتِلاَفُ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ مَعَ أُسْتَاذِهِ الْحَسَنِ البَصْرِي فِي حُكْمِ مُرْتَكِبِ الْكَبِيْرَةِ، وَإِلَيْهِ تَنْصُبُ طَائِفَةُ الْمُعْتَزِلَةِ.

وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يَجْلِسُ فِي دَرْسِ الْحَسَنِ البَصْرِي فَدَخَلَ رَجُلُ عَلَى الْحَسَنِ البَصْرِي، وَقَالَ : يَا إِمَامُ الدِّيْنِ ظَهَرَ فِي زَمَانِنَا جَمَاعَةٌ يَكْفُرُوْنَ مُرْتَكِبِ الْكَبِيْرَةِ وَهُمْ الْخَوَارِجُ وَجَمَاعَةُ يَرْجِئُوْنَ الْحُكْمَ، وَيَقُوْلُوْنَ لاَ تَضُرُّ مَعَ الإِيْمَانِ مَعْصِيَةٌ كَمَا لاَ تَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةُ، وَهُمْ الْمَرْجِئَةُ. فَتَفَكَّرَ الْحَسَنُ، وَقَبْلَ أَنْ يُجِيْبَ قَالَ وَاصِلُ : أَنَا لاَ أَقُوْلُ أَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيْرَةِ مُؤْمِنٌ مُطْلَقٌ وَلاَ كَافِرٌ مُطْلَقٌ بَلْ هُوَ فِي مَنْزِلِ بَيْنَ الْمَنْزِلَيْنِ".ثُمَّ انْتَحَى مِنْ نَاحِيَةٍ مِنْ الْمَسْجِدِ وَأَخَذَ يُقَرِّرُ هَذَا الْمَذْهَبَ بِالْمَدِيْنَةِ سَنَةَ ٧٠ هـ. وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ١٣١ هـ،

وَكَانَ هَذَا بِالْبَصْرَةِ وَانْتَشَرَ مَذْهَبُهُمْ فِي العِرَاقِ وَاعْتَنَقَهُ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّة كَمَا اعْتَنَقَهُ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ العَبَّاسِيِّيْنَ.وَكَانَ لَهُم مَدْرَسَتَانِ أَحَدُهُمَا بِالْبَصْرَةِ وَالثَّانِيَّةُ بِبَغْدَادِ.وَقَامَ بَيْنَ الْمَدْرَسَتَيْنِ جِدَالٌ وَخِلاَفٌ فِي كَثِيْرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ.

طريقتهم في البحث

تحكم العقل في كل شيء ومحاولة للوصول عن طريقه إلى كل شيء. ولهم فضل عظيم في الدفاع عن الإسلام لأنهم قاوموا أصحاب العقائد الباطلة والأديان الأخرى بالحجة والبرهان.

ولكن تطرف المعتزلة في بعض آرائهم، وخصومتهم لأئمة الفقه والحديث ومعاونة الخلفاء العباسيين لهم مثل المأمون مع حملهم الناس إلى الأخذ بمذهبهم وما أصاب الفقهاء والمحدثين من المحن بسببهم جعل الناس يحملون عليهم ويصفونهم بالمروق عن الدين (ليك معلوما أن العقل يتأثر بالبيئة والهوى وأن الشرع هو المصباح الذي ينير الطريق أمام العقل).

مبادىء المعتزلة

(أ) **التوحيد**

١- وجوب معرفة الله تعالى بالعقل

٢- انكار صفات المعاني والقول بخلق القرآن

٣- نفي رؤية الله تعالى لما تقتضيه من التجسيم والجهة

(ب) العدل

٤ – القول بالحسن والقبح العقليين

(ج) الوعد والوعيد

٥– الله يريد الخير ولا يريد الشر، ويجب عليه فعل الصلاح والإصلاح لعباده.

٦– العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه.

٧– وجوب تنفيذ في الوعد والوعيد، ووجوب ارسال الرسل.

(ج) المنزلة بين المنزلتين

٨– مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ولا شفاعة له

(هـ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٩– وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أهل السنة

تتكون جماعة أهل السنة من فريقى الأشاعرة وهم أتباع أبي الحسن الأشعرى والماتريدية وهم أصحاب أبى منصور الماتريدى.

وقد نشأت الجماعة عندما رفع (المتوكل) المحنة عن الفقهاء والمحدثين وأبعد لمعتزلة، وقرب خصومهم من علماء المسلمين. وفقدت المعتزلة السيطرة الفكرية نتيجة عدم ثقة الرأى العام بهم.

وبدأت الشهبات التي كتبها المعنزلة زمنا طويل تظهر في البيئة الإسلامية فقيض الله للدفاع عن الإسلام إمامين جليلين هما أبو الحسن الأشعرى ببلاد العراق وأبو منصور الماتريدى ببلاد ما وراء النهر.

وقاد الحركة الفكرية قيادة حكيمة لا تطرف فيها من ناحية العقل كالمعتزلة ولا وقوف عند النص كرأي الفقهاء والمحدثين لكن الحق أنه لا رأي مع وجود النص.

طريقتهم في البحث

كانت طريقة أهل السنة في فهم العقائد ما كان عليه السلف الصالح جعلوا القرءان الكريم المنهل العذب الذى يلجأون إليه في تعريف عقائدهم فكانوا يفهمون عقائدهم من الآيات القرءانية عليهم منها حاولوا فهمه بما توحيه أساليب اللغة ولا تنكره العقول . فإن تعذر عليهم توقفوا وفوضوا.

وبالجملة فقد سلك طريقا وسطا جمع بين العقل والنقل ولم تختلف مبادئهم في الجملة عن مبادئ السلف الصالح وما أعلنه الفقهاء والمحدثون والأئمة المتبعون.

وكان ظهور هذه الجماعة في أواخر القرن الثالث الهجرى وأواثل القرن الرابع وكان ظهورها انتصارا للفقهاء والمحدثين وقد أيدها الخاصة والعامة وردت على المعتزلة وقامت مكانهم في الدفاع عن الدين.

وزعيم الماتريدية أبو منصور الماتريدى المولود بقرية (ماتريد) من أعمال سمرقند وكان حنيفا نبغ في علوم الدين وصار له مذهب في علم الكلام تبعه أهل خرسان وتوفي سنة ٣٢٢.

أما زعيم الأشاعرة فهو أبو الحسن الأشعرى المولود بالبصرة سنة ٢٦٠هـ وكان من أهل الإعتزال ثم خلا بنفسه يبحث حتى خرج على الناس بمؤلفاته في نصرة أهل السنة والرد على المعنزلة وتبعه أهل الفقه والحديث واتخذوه

أماما لهم. وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاث مائة. ولم يكن بين الأشاعرة والماتريدية خلاف إلا في أمور يسيرة؛ مثل

كون المعرفة بالعقل أو الشرع؛ ومفهوم الإيمان والإسلام ومعنى القضاء والقدر ومعنى الكسب ووجوب العقاب وغير

ذلك مما يقع عادة بين أهل الطريقة الواحدة ولا يقنضى تخالفا في المذهب.

مبادىء أهل السنة

١-طريق وجوب المعرفة بالشرع.

٢-حدوث العالم

٣-الإيمان هو التصديق والعمل كمال له.

٤-اثبات صفات المعاني

٥-قدم القرءان الكريم

٦-لا يجب على الله تعالى شيء

٧-من الجائز في حقه تعالى الثواب والعقاب وإرسال الرسل ورؤية الله تعالى.

٨-الله يريد الخير والشر.

٩-القضاء والقدر في أفعال العباد الإختيارية

١٠- الله خالق لأفعال العباد الاختيارية .ِ

١١- لا عصمة إلا للأنبياء

١٢- ثبوت سؤال القبر ونعيمه وعذابه.ْ

١٣- البعث للجسم والروح

١٤- الشفاعة لأهل الكبائر

١٥- وحود الجنة والنار وخلودهما

١٦- الإمامة العظمى ليست ركنا من الدين.

مَبَادِئُ عِلْمُ التَّوْحِيْدِ

(١) التَّوْحِيْدُ **لُغَةً** : العِلْمُ بِأَنَّ الشَّيْءَ وَاحِدٌ.

وَفِي **الشَّرْعِ** : أَفْرَادُ المَعْبُوْدُ بِالعِبَادَةِ[٣] مَعَ اِعْتِقَادِ وَحْدَتِهِ وَالتَّصْدِيْقِ بِهِ ذَاتًا وَصِفَاتًا وَأَفْعَالاً.

(٢) التَّوْحِيْدُ **قِسْمَانِ** مُتَلَازِمَانِ :

أَحَدُهُمَا : العَمَلِيُّ وَهُوَ أَفْرَادُ المَعْبُوْدُ بِالعِبَادَةِ وَيُسَمَّى تَوْحِيْدُ الأُلُوْهِيَّةِ.

الثَّانِي : الإِعْتِقَادِيُّ وَهُوَ اِعْتِقَادُ وِحْدَتِهِ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالأَفْعَالِ

- وَلاَ يَكْفِي أَحَدُهُمَا بِدُوْنِ الآخَرِ وَيُسَمَّى تَوْحِيْدُ الرُّبُوْبِيَّةِ

الثَّالِثُ : وَهُوَ تَوْحِيْدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَفِي **الاِصْطِلاَحِ** بِمَعْنَى الفَنِّ المُدَوَّنِ :

عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيْهِ عَنْ ذَاتِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَذَاتِ رُسُلِهِ وَأَحْوَالِ المُمْكِنَاتِ مِنْ حَيْثُ المَبْدَأِ وَالمِعَادِ عَلَى قَانُوْنِ الإِسْلاَمِ.

- البَحْثُ عَنْ ذَاتِ اللهِ مِنْ حَيْثُ مَا يَجِبُ لَهَا مِنَ الصِّفَاتِ وَمَا يَسْتَحِيْلُ وَمَا يَجُوْزُ .

[٣] اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة كالصلاة وصدق الحديث والرضا بالقضاء والقدر وكل ما ورد به الشرع.

- البَحْثُ عَنْ ذَاتِ الرُّسُلِ مِنْ حَيْثُ مَا يَجِبُ لَهُمْ وَمَا يَسْتَحِيْلُ عَلَيْهِمْ وَمَا يَجُوْزُ فِي حَقِّهِمْ ، وَعَنِ الرِّسَالَةِ مِنْ حَيْثُ كَوْنِهَا مِنْحَةً أَوْ اِكْتِسَابًا.

- البَحْثُ عَنْ أَحْوَالِ المُمْكِنَاتِ **مِنْ حَيْثُ المَبْدَأِ** أَيْ مِنْ حَيْثُ حُدُوْثِهَا بِالإِخْتِيَارِ لاَ بِالتَّعْلِيْلِ، وَ**مِنْ حَيْثُ المِعَادِ** أَيْ مِنْ حَيْثُ أَعَادَتِهَا وَأَحْوَالِهَا فِي الآخِرَةِ هِيَ الأُمُوْرُ السَّمْعِيَّةُ كَالْحَشْرِ وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَغَيْرِهَا.

* هَذَا البَحْثُ مُقَيَّدٌ بِقَانُوْنِ الإِسْلاَمِ بِحَيْثُ لاَ يُصَادِمُ الشَّرْعَ وَلاَ يُفْسِدُ العَقِيْدَةَ كَبَحْثِ الفَلاَسِفَةِ الْخَارِجِ عَنْ دَائِرَةِ الشَّرْعِ.

تَعْرِيْفٌ أَخَرٌ :
هُوَ عِلْمُ يَقْتَدِرُ مَعَهُ عَلَى إِثْبَاتِ العَقَائِدِ الدِّيْنِيَّةِ عَلَى الغَيْرِ وَإِلْزَامِهَا إِيَّاهُ بِإِيْرَادِ الحُجَجِ وَدَفْعِ الشُّبْهِ.

* **مَوْضُوْعُهُ:** ذَاتُ اللهِ وَذَاتُ رُسُلِهِ وَالمُمْكِنُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى وُجُوْدِ صَانِعِهِ وَالسَّمْعِيَّاتُ مِنْ حَيْثُ اِعْتِقَادِهَا.

فَائِدَتُهُ وَثَمَرَتُهُ: تَتَعَدَّدُ بِاعْتِبَارَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ .

- بِالنِّسْبَةِ لِقُوَّةِ الشَّخْصِ الفِكْرِيَّةِ : الإِنْتِقَالُ مِنَ التَّقْلِيْدِ إِلَى اليَقِيْنِ ،

- بِالنِّسْبَةِ لِقُوَّتِهِ العَمَلِيَّةِ : الإِخْلاَصُ فِي العَمَلِ فَإِنَّهُ يَكُوْنُ بِقَدَرِ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى وَالْخَوْفِ مِنْ عَذَابِهِ وَالطَّمْعِ فِي رَحْمَتِهِ.

- بِالنِّسْبَةِ إِلَى الغَيْرِ : إِرْشَادُ المُسْتَرْشِدِ بِإِيْضَاحِ الدَّلِيْلِ لَهُ وَإِلْزَامِ المُعَانِدِ الحُجَّةَ عَلَيْهِ.

- بِالنِّسْبَةِ لِأُصُوْلِ الدِّيْنِ[٤] : دَفْعُ الشُّبُهَاتِ عَنْهَا.

- بِالنِّسْبَةِ لِفُرُوْعِ الدِّيْنِ : بِنَاءُ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ عَالِمٌ مُرْسَلٌ لِلرُّسُلِ مُنَزِّلٌ لِلْكُتُبِ لَمْ يَتَصَوَّرْ عِلْمَ تَفْسِيْرٍ وَحَدِيْثٍ وَفِقهِ وَأُصُوْلٍ.

** وَالفَائِدَةُ الجَامِعَةُ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى بِالبَرَاهِيْنِ القَطْعِيَّةِ وَالفَوْزُ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَاضِعُهُ : (أَيْ كَاتِبُهُ وَمُدَوِّنُهُ، لِأَنَّ التَّوْحِيْدَ رِسَالَةُ كُلِّ نَبِيٍّ).

١- وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ وَأَتْبَاعُهُ.

٢- أَبُوْ مَنْصُوْرِ المَاتُرِيْدِيُّ وَأَتْبَاعُهُ.

٣- أَبُوْ الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ وَأَتْبَاعُهُ.

---

[٤] **الدين** يطلق **لغة** على عدة معان منها الطاعة والعبادة أو الجزاء والحساب
واصطلاحا : ما شرعه الله لعباده من الأحكام على لسان نبيه أو هو وضع إلهي سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات،
- وسمي دينا : لأننا ندين له وننقاد
- ويسمى ملة لأن الله املاه على الرسول أملاه على الأمة
- ويسمى شرعا لأن الله شرعه لنا أي بينه على لسان نبيه.

اِسْمُهُ : **عِلْمُ التَّوْحِيْدِ** لِأَنَّ مَبْحَثَ الوَحْدَانِيَّةِ أَشْهُرُ مَبَاحِثِهِ.

- يُسَمَّى **عِلْمُ الكَلاَمِ** لِكَثْرَةِ الكَلاَمِ فِي صِفَةِ الكَلاَمِ أَوْ لِأَنَّهُمْ كَانُوْا يَقُوْلُوْنَ فِي تَرْجُمَةِ مَسَائِلَةِ الكَلاَمِ عَنْ كَذَا وَالكَلاَمِ عَنْ كَذَا.

حُكْمُهُ : الوُجُوْبُ العَيْنِيّ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ،

- وَأَقَلُّ مَا يَتَحَقَّقُ بِهِ هَذَا الوَاجِبُ مَعْرِفَةُ العَقَائِدِ بِالأَدِلَّةِ الإِجْمَالِيَّةِ.

- وَأَمَّا المَعْرِفَةُ التَّفْصِيْلِيَّةُ فَوُجُوْبُهَا كِفَائِيٌّ،

نِسْبَتُهُ : هُوَ أَصْلُ العُلُوْمِ الدِّيْنِيَّةِ وَمَا سِوَاهُ فَرْعٌ مِنْهُ.

فَضْلُهُ : إِنَّهُ أَشْرَفُ العُلُوْمِ لِتَعَلُّقِهِ بِذَاتِ اللهِ وَذَاتِ رُسُلِهِ.

مَسَائِلُهُ : القَضَايَا البَاحِثَةُ عَمَّا يَجِبُ وَمَا يَسْتَحِيْلُ وَمَا يَجُوْزُ فِي حَقِّ اللهِ وَفِي حَقِّ الرُّسُلِ وَعَنْ السَّمْعِيَّاتِ.

اِسْتِمْدَادُهُ : مِنَ الأَدِلَّةِ اليَقِيْنِيَّةِ العَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ.

مبحث الحكم

الحكم : هو إثبات أمر لأمر أو نفي أمر عن أمر .

- **الحاكم** : إما الشرع ، وإما العادة ، وإما العقل ،

- ولهذا انقسم الحكم إلى ثلاثة أقسام :

١- شرعى ٢- عادي ٣- عقلي

(١) الحكم الشرعي :

هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بـ**الطلب** أو **الإباحة** أو **الوضع لهما** .

- فـ**الطلب** يشمل الايجاب ، والندب والتحريم والكراهة.

١. **الإيجاب** : هو طلب الفعل طلبا جازما مثل الايمان بالله ورسله .

٢. **الندب** : هو طلب الفعل طلبا غير جازم مثل صلاة الضحى.

٣. **التحريم** : هو طلب الترك طلبا جازما كطلب ترك الاشراك بالله والزنا .

٤. **الكراهة** : هي طلب الترك طلبا غير جازم مثل القراءة في الركوع والسجود.

- وأما **الإباحة** فهي التخيير بين الفعل والترك مثل البيع والنكاح.

- وأما **الوضع لهما** أي الطلب والاباحة : فهو جعل الشيء سببا أو شرطا أو مانعا.

١-**السبب** : ما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود بالنسبة لذاته، مثل: الزوال فإنه سبب لوجوب الظهر .

٢-**الشرط** : ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم، مثل الطهارة بالنسبة للصلاة.

٣-**المانع** : ما يلزم من وجوده العدم ، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم، مثل : الحيض يلزم من وجوده عدم وجوب الصلاة ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لتوقف وجوبها على أسباب أخرى.

(٢) الحكم العادي

هو إثبات الربط بين أمر وأمر وجودا وعدما بواسطة تكرار القرائن بينهما على الحس لا (الظاهر والباطن)،

- كالحكم بأن النار تحرق والأكل يشبع والماء يروى
- وأقل ما يتحقق به التكرار مرتين .

- وليس معنى هذا الحكم أن النار مؤثرة بذاتها بل هذا الإقتران يصح تخلفه لأن الدليل قام على أن المؤثر في جميع الأشياء هو الله سبحانه وتعالى ولهذا كان الحق أن الإرتباط بين الأسباب ومسبباتها عادى،

  - فمن اعتقد أن الأسباب تؤثر في مسبباتها بطبيعتها فهو كافر ،

  - ومن قال أن التأثير بقوة أودعها الله فيها فاسق.

  - ومن قال إن المؤثر هو الله ولكن الإرتباط بينهما عقلي فهذا غير مقبول مخافة أن يجره إعتقاده هذا إلى إنكار ما خالف العادة كمعجزات الأنبياء : ولم يبق إلا أن الإرتباط بينهما عادي وهو ما عليه جمهور أهل السنة .

(٣) الحكم العقلي

هو اثباث أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرار ولا وضع واضع.

- فإن توقف على تكرار فهو العادي أو على وضع واضع فالشرعي

واعلم أن كل ما حكم به العقل إن قبل الثبوت والنفي فهو **الجائز** وإن لم يقبل إلا الثبوت فهو **الواجب** وإن لم يقبل

إلا العدم فهو **المستحيل**

- ولهذا انقسم الحكم العقلي إلى ثلاث أقسام:

١) الوجوب

٢) الاستحالة

٣) الجواز

مبحث الواجب والمستحيل والجائز

الواجب : هو الثابت الذي لا يقبل الانتفاء لذته.

- الوجوب : هو الثبوت الذي لا يقبل الانتفاء.

ينقسم إلى قسمين :

١- **ضروري** : هو ما لا يتوقف إدراك وجوبه على نظر،

مثل: التحيز للجرم وصغر الولد عن أبيه.

٢-**نظرى** : ما توقف إدراك وجويه على نظر واستدلال،

مثل: قدم الإله وعلمه .

المستحيل : ما لا يتصور العقل وجوده ، أي ما لا يصدق بوجوده.

- الإستحالة : هي الإنتفاء الذي لا يقبل الثبوت.

وهو قسمان:

١-**ضرورى** : هو ما لا يحتاج في إدراك استحالته إلى بحث،

مثل: خلو الجرم عن الحركة والسكون أو ثبوتها معا له.

٢-**نظري** : هو ما احتاج في ادراك استحالته إلى نظر واستدلال،

مثل: تعدد الإله وكذب الرسل.

الجائز: ما يصح في نظر العقل ثبوته وعدمه أو ما يقبل الثبوت والعدم لذاته.

- الجواز : هو قبول الثبوت والعدم.

وهو قسمان:

١-ضروري : هو ما لا يتوقف إدراك جوازه على بحث واستدلال،

مثل: الحركة أو السكون بالنسبة للجسم.

٢-نظرى : ما توقف إدراك جوازة على بحث واستدلال،

مثل: تعذيب المطيع وإثابة العاصي فهو ممكن عقلا ممتنع شرعا.

- فإن العقل لا يدرك جواز ذلك إلا بعد الوقوف بالدليل على أن الفعل الله وحده وأنه لا يسأل عما يفعل.

* أن **الجائز لذاته** - قد يكون **واجبا لغيره**، وذلك إذا تعلق علم الله بوجوده كإيمان أبي بكر

- وقد يكون **مستحيلا لغيره** - إذا تعلق علم الله بعدمه كإيمان أبي جهل

الفرق بين الحكم العقلي والشرعي والعادي		
الحكم العقلي	**الحكم الشرعي**	**الحكم العادي**
إثبات أمر الأمر أو نفيه	هو خطاب الله تعالى	إثبات الربط بين أمر وأمر

عنه من غير توقف تجربة ولا وضع واضع.	المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الوضع لهما.	وجودا وعدما بواسطة تكرار القرائن بينهما على الحس.

مباحث المعرفة

معناها: الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل.

- فلا تتحقق المعرفة بالشك ولا بالوهم ولا بالظن ولا بالإعتقاد غير المطابق للواقع كاعتقاد الفلاسفة قدم العالم

  واعتقاد النصارى التثليث والمتصف بشيء مما ذكر في العقائد كافر.

- ولا تتحقق المعرفة بالاعتقاد الجازم المطابق للمواقع عن تقليد.

ما المطلوب معرفته بالنسبة لله تعالى ؟

- ليس المطلوب في معرفة الله تعالى ادراك ذاته

- إنما المقصود من معرفته هو معرفة[٥] ما يجب له وما يستحيل وما يجوز لقصور العقول عن إدراك حقيقة الذات

[٥] ما يجب له عقلا و شرعا إجمالا وتفصيلا وما يستحيل وما يجوز له من الصفات.

لهذا ارشدنا القرءان الكريم إلى النظر في أثاره الدالة على على كماله وتنزهه عن المماثلة لخلقه سدا الباب التطلع إلى

معرفة الذات وصرفا لنا عن محاولة التفكير في هذا الجانب

قال تعالى ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ لَا تُدْرِكُهُ

الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ١٠٣ ﴾

الأنعام: ١٠٢-١٠٣.

وبين الرسول ﷺ هذا بالنهي الصريح عن البحث في حقيقة الذات،

– فقال : "تفكروا في آلاء الله ومخلوقاته ولا تفكروا في ذاته فإنكم لن تقدروا قدره"

(أى أن فكرتم في ذاته فما عظمتموه حق تعظيمه)

- وقال : "تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة".

فإذا لا يعرف الله إلا الله فترك الإدراك والبحث عن الحقيقة لأن دائرة العقل محدودة بالكون الذي تتصل به حواسه

وتجرى فيه مقارناته أما ما وراء الكون فأني يصل إليه من لا صلة له به .

فالعجز من الانسان برهان على سموا الذات عن الدخول في دائرة العقل المحدودة وهذا العجز عقيدة من عقائد

الإيمان بالله تعالى .

ومثل العقول في النظر إلى ذات الله تعالى ، كمثل الأبصار إذا استمرت تنظر إلى جرم الشمس فكما أن الأبصار

تعتريها كدرة وظمه تمنعها من تمام الأبصار[٦] فكذلك تعترى العقول[٧] حيرة ودهشة تقطع عليها إدراكها.

حكم المعرفة

حكمها :الوجوب[٨] يكون عينيا في معرفة كل عقيدة ولو بدليلها الإجمالي، ويكون كفائيا في المعرفة بالدليل

التفصيلي.

- معنى **الدليل الإجمالي** : هو ما يعجز المكلف عن تفصيله ورد الشبهة عنه

[٦] ما دليله عقلي وهو ما توقف عليه المعجزة كوجوده وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث وقدرته وإرادته وعلمه وحياته ولوازمها.
[٧] ما دليله نقلي وهو السمع والبصر والكلام ولوازمها.
[٨] ما اختلف فيه وهو الوحدانية والأصح أن دليلها عقلي.

- معنى **الدليل التفصيلي** : هو ما يقتدر معه على إقامة الحجة ودفع الشبهات عنه .

- معنى **وجوب المعرفة** : الإثابة على فعلها والعقاب على تركها.

الدليل على وجوب المعرفة:

١-قوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾ **مُحَمَّد**: ١٩، أمر بالعلم وهو لا يكون إلا على دليل.

٢-قول الرسول ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)

- فالشهادة ما كانت عن علم ، والعلم لا يكون إلا عن دليل .

٣-وقد استدل أيضا **بالإجماع** ، وذلك أن الأمة قد أجمعت على وجوب الإيمان الذي هو المعرفة العلمية والإيقان بالدليل والبرهان وأجمعت على وجوب العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج ولا تتصور العبادة إلا بعد معرفة المعبود .

- فمعرفة المعبود مقدمة للواجب المجمع عليه فهى واجب مجمع عليه .

هل وجوب المعرفة وجوب أصول أو وجوب فروع ؟

خلاف بين العلماء :

- فريق يقول : بوجوبها وجوب أصول فمن لم يحصل هذا الواجب كافرا.

- فريق أخر يقول : بوجوبها وجوب فروع فتاركها عاص كالذي يترك الصلاة.

من تجب عليه المعرفة ؟

يجب على كل مكلف : وهو البالغ العاقل السليم الحواس الذي بلغته الدعوة.

- فمعرفة الله لا تجب على الصبي إلا عند الأحناف إذا كان مميزا لأنهم يعتبرون تميزه كافيا في الوجوب .

- أما المجنون وفاقد الحواس (أى السمع والبصر)) فلا وجوب عليهما،

- ومثل المجنون السكران غير المتعدى أن بلغ مجنونا او سكرانا . أما أن بلغ عاقلا ثم جن أو سكر فهو على ما كان قبل جنونه أو سكره من إيمان أو كفر.

- وأما بلوغ الدعوة ،
  - فهو معتبر عند من يوجب المعرفة بالشرع ، فمن لم تبلغه الدعوة كمن نشأ في شاهق جبل فليس مكلفا
  - غير معتبر عند من يوجب المعرفة بالعقل ،

- شروط التكليف : البلوغ ، والعقل ، وسلامة الحواس وبلوغ الدعوة هذا في الإنس
- أما الجن فهم مكلفون من أصل الخلقة،
- أما الملائكة فمعرفتهم جبلية.

هل المعتبر دعوة أي نبي كان لأن جميع الأنبياء متفقون في الأصول فأحدهم كلف في التبليغ دون الفروع لأنها تختلف باختلاف الأنبياء أو لا بد من دعوة نبي زمانه ؟

- **قولان** والثاني هو الأصح .

التكليف

هو إلزام ما فيه كلفة ومشقة فلا يشمل إلا الوجوب والحرمة ، دون الكراهة والندب والإباحة، أو هو طلب ما فيه كلفة فيشمل ما عدا الإباحة.

سميت هذه الأحكام : تكليفية باعتبار تعلقها بالمكلف.

- أما أفعال الصبي والبهائم فمهملة لا مباحة لأن المباح : ما لا إثم في فعله أو تركه.

طريق وجوب المعرفة

بعد إجماع من يعتد بإجماعهم على وجوب المعرفة اختلفوا في طريق وجوبها هل هو الشرع أو العقل،

والمراد من المشرع بعثة أحد الرسل لا الأحكام الشرعية .